

خطبة الجمعة - الخطبة ١١٤٥ : خ ١ - علاج مرض الفتور - الاعتداءات على المسجد الأقصى ، خ ٢ - ومضة من التاريخ.

لضيّلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٠-٣-٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونستعين به، ونسترشد، ونحوذ به من شرور أنفسنا وسبيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، أدي الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاحد في الله حقَّ الجهاد، اللهم أخرجننا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، أخرجننا من حول الشهوات إلى جنات القربات .

علاج مرض الفتور :

أيها الأخوة الكرام، كان الموضوع في الأسبوع الماضي عن مرض خطير يصيب المسلمين عموماً، وقد يصيب العاملين في الحقل الديني وخاصة، إنه مرض الفتور، وبيّنت لكم إن المؤمن كما قال النبي الكريم: ساعة وساعة، أي ساعة تألق وساعة فتور، الفتور الطبيعي غير المرضي، في ساعة التألق والفتور لا يعصي الله أبداً، لكن بين التألق وبين عدم التألق، أما الفتور كمرض يصيب معظم المسلمين، وقد يصيب العاملين في الحقل الإسلامي، هذا مرض خطير تحدثت عن أسبابه وعن تعريفه، واليوم أحياكم أن أدرج بعض النقاط في علاجه.



الفتور مرض خطير

١ - توفيق الله عز وجل للإنسان :

أول شيء ننطلق من آية الفاتحة:

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

[سورة الفاتحة الآية : ٥]

لأننا نؤمن أنه لا يتحقق شيء على وجه الأرض إلا بتوفيق الله، والآية التي هي أصل في هذا:

(وَمَا تَوْفِيقٍ إِلَّا بِاللَّهِ)

[سورة هود الآية : ٨٨]

فالمؤمن يعبد الله عز وجل ويستعين على عبادته، سيدنا يوسف قال:

(وَإِلَّا تَصْرُفْ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

[سورة يوسف الآية : ٣٣]

فالمؤمن الموحد لا يرى عمله بل يرى فضل الله عليه، لا يرى استقامته بل يرى فضل الله عليه، لا يرى حجم عمله الصالح بل يرى فضل الله عليه، فأولاً لا بد من توفيق الله حتى ننجو من الفتور كمرض، و النبى عليه الصلاة والسلام قال :

((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ اسْتَعْمَلَهُ، قَيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يُوفَّقُهُ لِعَمَلِ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبضُهُ عَلَيْهِ))

[أحمد عن أنس]

٢ - القصد والاعتدال في الطاعات بلا إفراط ولا تفريط:

شيء آخر: القصد والاعتدال في الطاعات بلا إفراط ولا تفريط، لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان عمله ديمة أي مستمراً.

((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَ))

[متفق عليه عن عائشة]

فالعمل المعتدل يستمر، أما العمل غير المعتدل لا يستمر، فمن أجل ضمان استمرار العمل الصالح وأداء العبادات ينبغي أن تكون في الحد المعتدل:

((إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًا، فَاعْطِ لِكُلِّ ذِي حَقٍ حَقَ))

[أخرجه البخاري عن عون بن أبي جحيفة]

لذلك:

((إِنَّ الدِّينَ يُسَرٌ وَلَنْ يُشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدَّدُوا وَقَارَبُوا وَأَبْشَرُوا وَاسْتَعْنُوا بِالْغَدُوةَ وَالرُّوحَةَ وَشَيْءَ مِنَ الدَّلْجَةِ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

أي استعن على طاعة الله بأخذ قسط من الراحة، وفي الصحيحين من حديث أنس أن النبي عليه الصلاة والسلام دخل المسجد يوماً فوجد حبلًا مربوطاً بين ساريتين فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((ما هذا))

؟ قالوا : حبل لزينب إذا فترت تعلقت به، فقال: لا إله إلا الله، ألم المؤمنين ربطت الحبل؟ - تصلّى، إذا فترت تعبت، أحسست بشيء من التكاسل أو التراخي تتعلق بالحبل لتقيم نفسها بين يدي رب - فماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: قال:

((حلوه حلوه))

ثم قال:

((ليصل أحدهم نشاطه فإذا فتر فليرقد))

[متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها]

العبادات المعتدلة وتطبيق سنة النبي عليه الصلاة والسلام المعتدلة الوسطية، أعون على استمرار هذه العبادات، وفي الصحيحين من حديث أنس قال : " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي عليه الصلاة والسلام يسألون عن عبادته، فلما أخبروا عنها كأنهم تقالوها - أي وجدوها قليلة - فقالوا: أين نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر أبداً، وقال الثالث: وأما أنا فأعزّل النساء ولا أتزوج أبداً. فلما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بخبرهم قال:

((أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم الله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))

[متفق عليه عن أنس]

٣ - التدرج في الطاعة:

أيها الأخوة، بند ثالث يعين على إلغاء هذا المرض العossal، مرض التكاسل في الطاعات وأداء الأعمال الصالحة، التدرج في الطاعة، معنى التدرج أن يصل إلى الفرائض ثم السنن، معنى التدرج لأن يؤجل الصيام حتى يتقن الصلاة، معنى التدرج ليس كذلك، معنى التدرج أن تبدأ بالأسهل فالأسهل، الله عز وجل قد بذل المال على بذل النفس، هناك آيات تزيد عن عشرين آية:

((وجاهدو بآموالهم وأنفسهم))

[سورة الانفال الآية: ٧٢]

بذل المال أيسر من بذل النفس، فالتدريج، أن تبدأ بالأسهل فالأسهل، وبالأحب على قلبك، أن تبدأ مثلاً قيام الليل إذا كنت ممن لا يقيمون الليل أن تبدأ بركتعين أو ركعة أو ثلاث ركعات حتى تصلّي

أحدى عشرة ركعة، ولتبدأ بأحب العبادات إلى قلبك، إذا فتح الله لك باب الدعوة إلى الله أبداً بالدعوة إلى الله، وإذا فتح الله لك باب الذكر، أبداً بالذكر، إذا فتح الله لك باب الإحسان للفقراء، أبداً بهذا الباب، وإذا فتح الله لك أبواباً أبداً بأسهلها وبأحدها إلى قلبك، لذلك يكون هناك شوق للعبادة والطاعة.

الدرج أفضل من الطفرة:

أيها الأختة، تقول السيدة عائشة:

((إن أول ما أنزل من القرآن سورة فيها ذكر للجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، لا تزدواجوا لا تشربوا الخمر، تقول: ولو نزل أول ما نزل: لا تشربوا الخمر ولا تزدواجوا لقالوا: لا ندع الخمر ولا الزنا أبدا))

[البخاري عن عائشة رضي الله عنها]

الآن بالدعوة، أبداً بالأسهل فالأسهل،
أقنع الناس بوجود الله، أقنعهم بكماله،
أقنعهم بوحدانيته، اندهش عن الكبائر، عن
المحرمات، وهكذا.

ال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز
حين جاءه ولده عبد الملك، وهو شاب
في ريعان شبابه، لم يبلغ السابعة عشر
من عمره لما تولى والده الخلافة وبويع
في المسجد، وذهب عمر ليستريح قليلاً،



أبداً بالأسهل فالأسهل

ذهب إليه ولده وقال: يا أبت يا أبت ماذا تصنع؟ نائم قبل أن ترد المظالم إلى أهلها ما لي أراك لا تحمل الناس على الحق؟ ثم قال الولد بحماس فوار وإخلاص كبير: والله لا أبالي إن غلت القدور بي وبك في الله، أي لا أبالي إن وضعت أنا وأنت في قدر يغلي فيه ماء أو زيت ما دام العمل الله، فقال عمر بن عبد العزيز العالم الفقيه الراشد: يابني لا تعجل إن الله جل وعلا ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمتها في الثالثة، وإنني أخشى أن أحمل الناس على الحق جملة واحدة فيدعون الحق جملة واحدة، فتكون فتنـة، هكذا فهم الخليفة الراشد.

أي أحمل ابنك على الصلاة أولاً، أما أن تحمله على كل الطاعات معًا قد لا يستطيع، الدرج أفضل من الطفرة.

٤ - صحبة الأخبار من أصحاب الهمم العالية:

الشيء الآخر الذي يعينك على إلغاء مرض الفتور، صحبة الأخبار من أصحاب الهمم العالية، سأوضح لكم هذا، ائت بمستطيل رمادي اللون، ضع له إطاراً أسوداً، تتوهمه فاتحاً جداً مع الإطار الأسود، المستطيل نفسه الرمادي ضع له إطاراً أبيضاً، تراه داكناً هو، فأنت حينما تصحب الأخبار تتتفوق، أما إذا صحب الإنسان الأشرار يرى نفسه وليناً ولو لم يعمل عملاً صالحًا، فلا بد من صحبة الأخبار:

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الدَّيْنِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَّيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْذُ عَيْنَكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعِنْ مَنْ أَغْفَلْتَ قَبْلَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَثْبَعَ هُوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا)

[سورة الكهف الآية : ٢٨]

((لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقى))

[أخرجه أبو داود والترمذى وأبي حبان والحاكم عن أبي سعيد].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوئُنُوا مَعَ الصَّابِرِينَ)

[سورة التوبة الآية : ١١٩]



لا بد من صحبة الأخبار حتى تستطيع
أن تعبد الله الواحد القهار.

لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كما
في الصحيحين:

((مثل الجليس الصالح والجليس
السوء كحامل المسك ونافح الكير))

[منفق عليه عن أبي موسى الأشعري]

أيها الأخوة الكرام، يقول أحد العلماء: "إ

إن من الناس أناساً تذكرك وجوههم
بالله "، بل إن:

((خياركم الذين إذا رأوا ذكر الله بهم))

[البهيفي عن عمر]

فضلاً عن كلامهم الرائع، وعن أفعالهم، وعن تواضعهم، وإن من الناس أناساً تذكرك وجوههم بالشياطين، ويرغبونك بالمعاصي والآثام، وتستثير كلماتهم شهوتك، وتحرك وجوههم غرائزك، إياك أن تصحب هؤلاء، اصحاب الأخبار، الأطهار، الأبرار، من يذكرونك بالعزيز الغفار، ويذكرونك بمنهج النبي المختار.

٥ - على الإنسان أن يضع له برنامج عبادة هو عمل اليوم والليلة :

ضع لك برنامج عبادة، هو عمل اليوم والليلة من الأذكار، والصلوات، والقرآن، والذكر، والاستغفار، المحافظة على الصلوات في جماعة، المحافظة على الورد اليومي للقرآن، المحافظة على أذكار الصباح والمساء، والذكر المطلق، هذا كله مما يشده إلى هذا الدين العظيم، يجعلك تتلاق في حياتك الدنيا قبل الآخرة، لذلك من أدق الأحاديث في هذا الموضوع كما ورد في الحديث القدسي:

((من عادى لي ولیاً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبد بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، ولا زال عبدي يتقارب إلى النوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التي يمشي بها، ولئن سأله لأعطيته، ولئن استعاذه لأعيذه))

[البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه]

٦ - ذكر الجنة و النار :

أيها الأخوة، ذكر الجنة والنار، أي أن تعيش المستقبل، أي أن تعيش المصير الأبدي، هذا أيضاً يعينك على مداومة الطاعات، والتقرب إلى رب الأرض والسماءات:

(فَرِّوْا إِلَى اللَّهِ)

[سورة الذاريات الآية : ٥٠]

٧ - فهم السنن الربانية :

شيء آخر: فهم السنن الربانية، هذا الكون له سنن، أنت لو أردت أن تغير المجتمع في ليلة وضحاها لا تستطيع، وإن لم تستطع تصاب باليأس، المنطلق أنك لم تفهم حقيقة السنن الإلهية، الأمر يكون بالتدرج، فلذلك الإيمان يحتاج إلى نفس طويل لقوله تعالى:

(وَتِلْكَ الْأَيَّامُ تَدَوِّلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)

[سورة آل عمران الآية : ١٤٠]

٨ - حضور مجالس العلم:

ومن أسباب معالجة الفتور، حضور مجالس العلم لأن الإيمان في المجلس العلمي يتجدد ويقوى.



حضور مجالس العلم

٩ - ذكر الموت :

شيء آخر هو أن الإنسان إذا ذكر الموت، هادم اللذات، مفرق الأحباب، مشتت الجماعات.

((لا تذكرونـه في كثـير إـلا قـللـه، وـلـا قـلـيل إـلا كـثـره))

[رواه الطبراني عن ابن عمر]

الذي يملك أموالاً طائلة إذا ذكر الموت ذكر أنه سيوضع في قبر ولا شيء معه، والذي يعني ما يعني إذا ذكر الموت ذكر جنة عرضها السماوات والأرض، أعدّها الله لعباده الصالحين، فالموت إذا ذكر في كثير قللـه وإذا ذكر في قـلـيل كـثـره، من هنا:

((من كانت الآخرة هـمـه جـعـل الله عـنـاه فـي قـلـبـه، وـجـعـل الله عـلـيـه شـمـلـه، وـأـنـتـه الدـنـيـا وـهـي رـاغـمـة، وـمـن كانـت الدـنـيـا هـمـه جـعـل الله فـقـرـه بـيـن عـيـنـيـه، وـفـرـق عـلـيـه شـمـلـه، وـلـم يـأـتـه مـن الدـنـيـا إـلـا مـا قـدـرـه))

[الترمذـي عن أنس]

١٠ - الاستقامة على أمر الله عز وجل :

الوصية الأخيرة أن صحابياً جليلاً سأـلـ النبي عليه الصلاة والسلام، فقال: " يا رسول الله قـل لـي فـي الإسلام قـوـلـاً لا أـسـأـلـ عـنـه أحدـاً غـيـرـكـ أو لا أـسـأـلـ عـنـه أحدـاً بـعـدـكـ؟ فـقـالـ النبي عليه الصلاة والسلام:

((قـل آـمـنـت بـالـلـه ثـم اـسـتـقـمـ))

أـيـهـاـ الـأـخـوـةـ، الـحـقـيقـةـ الـدـقـيقـةـ أـنـ الإـنـسـانـ مـا لـمـ يـسـتـقـمـ عـلـىـ أـمـرـ اللـهـ لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـقـطـفـ مـنـ ثـمـارـ الـدـينـ شـيـئـاًـ.

الاعتداءات على المسجد الأقصى :

هذا الموضوع الأول لكن الموضوع الثاني موضوع ساخن، فال يوم يتعرّضُ المسجدُ الأقصى موطنُ أبيكم إبراهيمَ، ومتعبّد الأنبياء السابقين، ومسرى خاتم النبيين، المسجدُ الذي نَوَّهَ اللهُ به في الآيات المفصلة، وثبّلت فيه الكتبُ المنزَّلَةُ، أولى القبلتين، وثاني المسجدتين، وثالثُ الحرمين الشريفين، والذي لا تشد الرحال بعد المسجدتين إلا إليه كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام، المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ببركات الدين والدنيا، والذي أضحى بالإسراء إليه والمعراج منه رمزاً للشخصية المعنوية للمسلمين، وهذا المسجد يتعرّض اليوم لاعتداءات متكررة على بنائه، حيث تجري أعمال الحفريات في حرمته وما حوله، بزعم التنقيب عن هيكل سيدنا سليمان، إنها حجة واهية تخفي وراءها نيات عدوانية، تستهدف تخريبه وإزالته من الوجود، وطمس هذا المعلم الإسلامي البارز من المعالم والمقدسات الإسلامية، وتدينيساً فاضحاً لحرمة هذا المكان الطاهر. إنها مؤامرة تحاك ضد هذا المسجد، حيث يحلم الصهاينة ببناء معبد يهودي على أنقاضه، لذلك هم ينشطون لإبراز مسجد الصخرة على أنه المسجد الأقصى تمهدًا لإزالته، وبناء المعبد المزعوم مكانه، إن مسجد الصخرة الذي يبرزه الإعلام الصهيوني على أنه المسجد الأقصى بصورةه المعهودة عند عامة الناس ليس هو المسجد الأقصى الذي ورد ذكره في القرآن الكريم بل هو مسجد الصخرة الذي تمّ منها عرُوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى، قال عز وجل :

(ثُمَّ دَنَا فَتَلَىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنَ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ)

[سورة النجم الآية : ١٠-٨]

الخزي والعار في الدنيا والعذاب في الآخرة لمن يمنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه :

وفي وصف القرآن الكريم المسجد الأقصى بالبركة إيماءً قويًّا للعرب حملة رسالة الإسلام، وإلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، أنه مفروض عليهم، وقد بارك الله حوله أن يحفظوا له هذه البركة، ومتى اعْتَدُوا عليها فعلتهم أن يصطلحوا مع ربهم أولاً، ويعذّبوا لعدوّهم ما يستطيعون من قوّة ثانياً، كي يحرّرّوه، ويحرّروا ما حوله من أيدي الغزاة ، ويُحيّوا بتحريره سيرة فاتحيه الأبطال عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبي، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، قال تعالى :

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أَوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِقِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْنٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

[سورة البقرة الآية : ١١٤]

فإن الخزي والعار في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة، جزاء لمن يمنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعى في خرابها، أما الذي يعمّر مساجد الله يعمّرها بالبنيان، وينورها بالإيمان فعمله علامة مميزة على صحة الإسلام، وصدق الإيمان، قال تعالى:

(إِنَّمَا يَعْمَلُ مَسَاجِدُ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أَوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)

[سورة التوبة الآية : ١٨]

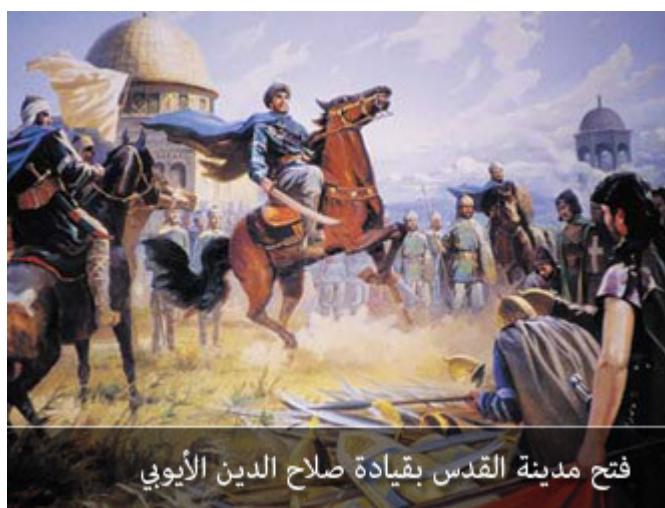
وأخيراً..

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولبي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ومضة من التاريخ تعطينا حماساً وأملاً باستعادة المسجد الأقصى :



أيها الأخوة الكرام، هناك مصطلح معاصر هو الهروب إلى الأمام وقد يكون الهروب إلى الوراء، أي حينما تالي النكبات، وحينما ينس هذا المسجد الطاهر شذاذ الآفاق، ونتألم أشد الألم، نبحث في التاريخ عن ومضة تعطينا حماساً وأملاً باستعادة هذا المسجد، نعود القهقري إلى يوم الجمعة الواقع في السابع والعشرين من شهر رجب عام

خمسينية وثلاثة وثمانين للهجرة، الموافق للثاني من تشرين الأول عام ألف ومئة وسبعة وثمانين للميلاد، وفي هذا اليوم تم فتح مدينة القدس من قبل المسلمين، وبقيادة صلاح الدين، وتم تحريرها من أيدي الغزاة الطامعين، وهذا نحن أولاء نرى القلوب قد امتلأت بالفرح، والوجوه قد عمّها البشر، وسمع الألسنة وقد لهجت بالذكر، لقد علت الرأيات، وعلقت القناديل، ورفع الأذان، وتلى القرآن، وصافت العبادات، وأقيمت الصلوات، وأديمت الدعوات، وتجلت البركات، وانجلت الكربات، وزال العُبُوس، وطابت النفوس، وفرح المؤمنون بنصر الله، أعاد الله علينا هذا النصر.

وَهَا نَحْنُ أَوْلَاءِ نَدْخُلُ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، فَإِذَا الْمُسْلِمُونَ، وَفِيهِمْ صَلَاحُ الدِّينِ وَجَنْدُهُ يَجْلِسُونَ عَلَى الْأَرْضِ، لَا تَتَفَلَّوْنَ مَقَاعِدَهُمْ، وَلَا يَمْتَازُ أَمِيرُهُمْ عَنْ وَاحِدٍ مِّنْهُمْ، قَدْ خَشَعَتْ جَوَارِحُهُمْ، وَسَكَنَتْ حَرَكَاتُهُمْ، هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا فَرْسَانًا فِي أَرْضِ الْمُعْرِكَةِ اسْتَحْالُوا رَهْبَانًا خُشْعَانًا كَانُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ الطَّيْرُ فِي حَرَمِ الْمَسْجِدِ.

هذا هو خطيب المسجد محى الدين القرشي قاضي دمشق يصعد المنبر، ويلقي خطبته التي لو ألقاها على رمال البيد لتحركت وانقلبت فرساناً، ولو سمعتها الصخور الصم لانبثقت فيها الحياة، لقد افتتحها بقوله تعالى :

(فَقْطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

[سورة الأنعام الآية : ٤٥]

نَسَأَلُ اللَّهَ ثَانِيَةً أَنْ يُعِيدَ عَلَيْنَا هَذَا النَّصْرَ.

فقرات من خطبة محى الدين القرشي قاضي دمشق عند فتح القدس :

هَا نَحْنُ أَوْلَاءِ نَسْتَمِعُ إِلَى فَقْرَاتٍ مِّنْ خَطْبَتِهِ، يَقُولُ: "أَيُّهَا النَّاسُ أَبْشِرُوكُمْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْغَاِيَةُ الْقَصْوَى، وَالدَّرْجَةُ الْعُلَيَا، لَمَا يَسِرَّهُ اللَّهُ عَلَى أَيْدِيكُمْ مِّنْ اسْتِرْدَادِ هَذِهِ الْمُضَالَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُضَالَّةِ، وَرَدَّهَا إِلَى مَقْرَاهَا مِنَ الْإِسْلَامِ بَعْدِ ابْتِدَالِهَا فِي أَيْدِيِ الْمُعْتَدِلِينَ الْغَاصِبِينَ قَرِيبًا مِّنْ مِائَةِ عَامٍ، وَتَطْهِيرِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَذْنَ اللَّهُ أَنْ يُرَفَّعَ، وَيُذَكَّرُ فِيهِ اسْمُهُ مِنْ رِجْسِ الشَّرْكِ وَالْعُدُوانِ".

ثُمَّ قَالَ مُحَذِّرًا - خطيب المسجد يوم افتتاح المسجد بعد استرجاعه - : "إِيَّاكُمْ عَبَادُ اللَّهِ أَنْ يَسْتَرِلُكُمُ الشَّيْطَانُ، فَيُخَيِّلُ لَكُمْ أَنَّ هَذَا النَّصْرَ كَانَ بِسَيِّوفِكُمُ الْحَدَادَ، وَخَيْوَلَكُمُ الْجِيَادَ، لَا وَاللَّهُ، مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عَنْدِ اللَّهِ، فَاحْذَرُوكُمْ عَبَادُ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ شَرَفُوكُمْ رَبُّكُمْ بِهَذَا الْفَتْحِ الْجَلِيلِ أَنْ تَقْتَرِفُوا كَبِيرًا مِّنْ مَنَاهِيَهُ، انْصُرُوكُمُ اللَّهُ يَنْصُرُكُمْ، خُذُوكُمْ فِي حَسْمِ الدَّاءِ، وَقْطَعُ شَأْفَةَ الْأَدَاءِ".

وَهَا نَحْنُ أَوْلَاءِ نَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَنَلْقَى بِأَهْدِ الْفَرْنَجَةِ الَّذِينَ شَهَدُوا فَتْحَ الْقَدْسِ، وَهَا هُوَ ذَا يَحْدَثُنَا وَيَقُولُ: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُؤْذُنُوا أَحَدًا، وَلَمْ يَنْهَبُوا مَالًا، وَلَمْ يَقْتُلُوا مَسَالِمًا، أَوْ مَعَاهِدًا، وَإِنْ مَنْ شَاءَ مِنْ أَنْفُسِهِ أَخْرَجَ، وَحَمَلَ مَعَهُ مَا شَاءَ، وَإِنَّا بِعِنَاهُمْ مَا فَضَلُّ مِنْ أَمْتَعَنَا فَاقْتَسَرُوهَا مِنْ بَأْثَانِهَا، وَأَنَّا نَغْدُو وَنَرُوحُ آمِنِينَ مَطْمَئِنِينَ، لَمْ نَرَ مِنْهُمْ إِلَّا الْخَيْرُ وَالْمَرْوِعَةُ، فَهُمْ أَهْلُ حَضَارَةٍ وَتَمَدُّنٍ".

وَصَدَّقَ مَنْ قَالَ: "مَا عَرَفَ التَّارِيخُ فَاتَّحَا أَرْحَمَ مِنْهُمْ".

وَلَكِنَّ الْفَرْنَجَةَ حِينَما فَتَحُوا الْقَدْسَ قَبْلَ مِائَةِ عَامٍ مِّنْ هَذَا التَّارِيخِ ذَبَحُوا سَبْعِينَ أَلْفَ مُسْلِمٍ فِي يَوْمٍ وَلِيَلَةٍ، وَلَمْ يَرْقُ صَلَاحُ الدِّينِ قَطْرَةً دَمٍ وَاحِدَةً، هَذَا هُوَ الدِّينُ.

اللهم اهدا فیمن هدیت، وعافنا فیمن عافیت، وتولنا فیمن تولیت، وبارك لنا فیما أعطيت، وقنا
واصرف عنا شر ما قضیت، فإنك تقضي بالحق، ولا يقضی عليك، وإنك لا ينزل من ولیت، ولا
يعز من عادیت، تبارکت ربنا وتعالیت، ولک الحمد على ما قضیت، نستغفرك و نتوب إليک، اللهم
اهدا لصالح الأعمال لا يهدی لصالحها إلا أنت، اللهم اهدا لأحسن الأخلاق لا يهدی لأحسنها إلا
أنت، اللهم أصلح لنا دیننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دینانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا
آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر،
مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحالك عن حرامك، وبطاعتک عن معصیتك، وبفضلک عن
سواك، اللهم بفضلک ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، انصر
المسلمين في كل مكان، وفي شتى بقاع الأرض يا رب العالمين، اللهم أرنا قدرتك بأعدائك يا أكرم
الأكرمين .

والحمد لله رب العالمين